

من أخصب المراحل في تاريخنا الحديث ، تعثت ثورية . والأدب فيها لم يشد عن طبيعة المرحلة التي شهد « الميثاق » بأنها كانت — على ما يبدو من جمودها ويظن من خمولها — من أخصب مراحل وجودنا القوي حيوية وتحفزاً . .

وما يصدق على الوجود القوي للأمة ، في مرحلة بعينها من مراحل تاريخها ، يصدق على وجودها الفكري والأدبي ، وإلا لما صحت دعوى ” صلة الفن بالحياة “ التي يعتز الزميل الدكتور لويس بأنها كانت « الشعار الذي رفعته صفحة الأدب في جريدة الجمهورية ، عندما أسندت إليه مسئولية الإشراف على تحريرها عام ١٩٥٣ » .

ورفعته قبل ذلك باثني عشر عاماً « مدرسة الأمناء » ، ومن أعضائها المؤسسين عدد غير قليل من كُتاب مرحلة الازدهار الكبير .

فالقول بأن مرحلة ما قبل الثورة ، كانت حقبة جذب وفراغ ، مع ما يشهد به الواقع التاريخي من كونها مرحلة التحفز الثوري سياسياً وقومياً ، ينسخ كل كلمة تقال عن صلة الفن بالحياة ، لأنه يعني أن الأمة كانت تتحفز لثورتها ، وفكرها معطل ووجدانها أصم عقيم !

وإذ يبدو للزميل أن أدبنا انطلق مع الثورة وبها إلى مرحلة ازدهار كبير ، عن فراغ رهيب غاض فيه النبع إلا من قطرات جاد بها الأستاذ توفيق الحكيم على أرض خراب ليس فيها غير « بذور خفية ألقاها الدكتور لويس والدكتور مندور والأستاذ نجيب محفوظ ، فلم تر النور قط إلا بعد أن تمت الثورة وجادت عليها بالرى والهواء . . وأنقذتها من موت محقق » .

. يبدو لي مما يشبه المستحيل ، أن تم مرحلة التحفز الثوري في ضمير الأمة ، بمعزل عن الفكر والفن !

ولا علم لي بثورة عرفها التاريخ في مساره الطويل ، لم تسبقها طبيعة فكرية وأدبية ، تكفلت بتعبئة القوى المدخورة والطاقات الكامنة . وليست ثورتنا بدعاً في الثورات التاريخية ؛ فيقال إنها جاءت على فراغ فكري وعقم وجداني . وليست أمتنا بدعاً في الأمم العريقة ، ليقال إنها حققت وجودها الثوري سياسياً ، دون أن